دراسة لأهم كتب التفسير بالرأي الجائز ومناهج مؤلفيها

للدكتور

مصطفى أحمد محمد أحمد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي رسولنا صل الله عليه وسلم، إذا تأملنا كتاب الله وجدناه كتابا معجزا لم ولن تستطيع الإنسانية ولا غيرها الإتيان بمثله أوأقل آية منه، وقد أمرنا الله بتدبره فقال

"أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "

ومن هنا برزت في المكتبة القرآنية ومن قديم الزمان كتب بدأت تترى في التفسير بالرأي الجائز، وتنافس فيه السابقون من مخلصي هذه الأمة الولادة التي لن ينتهي الصالحون منها حتى يوم الدين.

ولقد لفت انتباهي موضوع " دراسة لأهم كتب التفسير بالرأي الجائز ومناهج مؤلفيها "

وجاءت مباحثه على النحو التالي، وهي

- معني التفسير بالرأي وموقف العلماء منه.
- ما ينبغي معرفته قبل الاقدام على التفسير بالرأي.
- منهج المفسرين بالرأي.
- دراسة لأهم كتب التفسير بالرأي ومناهج مؤلفيها ويتناول ما يلي: –

١ – مفاتيح الغيب للرازي.

٢ – لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن.

٣ – البحر المحيط لأبي حيان.

٤ – غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري.

٥ – السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني.

٦ – روح المعاني للألوسي.

٧ – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

٨ – أحكام القرآن لابن العربي

أرجو من الله سد الخلل، والتجاوز عن الهفوات، إنه سميع قريب مجيب وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

In the name of Allah the Merciful

Praise be to God and prayer and peace be upon the Messenger of Allah and his family, his companions and those who follow him.

After

The most authentic talk is the Book of Allah Almighty, and the best guidance is the guidance of our Messenger - peace be upon him - if we look at the book of God we will find it a miracle book . Humanity has not and will not be able to bring like it or less verse, and God ordered us to think it, Allah said:" Then do they not reflect upon the Qur'an? If it had been from (any) other than Allah, they would have found within it much contradiction." . Hence, many books in the interpretation of the permissible opinion appeared in the Koranic library and a long time ago, and competed in the former faithful of this nation which the righteous do not finish until the Day of Judgment. The subject of "a study of the most important books of interpretation of the permissible opinion and the methods of its authors" has attracted my attention

The divisions were as follows:

-The meaning of the interpretation of opinion and the opinion of scientists.

-What should be known before the interpretation of opinion?

- Method of interpreters opinion

- A study of the most important books of interpretation and the methods of the authors and includes the following:

١-Mafatih alghayb lilrrazaa (Keys of the unseen to ilrrazaa)

٢-Labab altaawil fa mueanaa altanzil lilkhazin (Summary of the interpretation of the meanings of the quran to ilkhazin)

٣- Albahr almuhit li'abaa hayan (The ocean surrounding to Abi Hayyan)

٤- Gharayib alquran waraghayib alfurqan lilnysabura (The oddity of the Koran and the interests of the quran to Nisabouri)

٥- Alsiraj almunir fa alaeant ealaa maerifat bed mueanaa kalam rabana alhakim alkhabir lilkhatib alsharbaynaa (lightsome lamp in helping to know some meanings of the words of our Lord the Wise expert to Khatib Al – Sherbini)

٦- Rwh almaeanaa lilalusa (The spirit of the meanings to ilalusa)

٧- Aljamie li'ahkam alquran lilqurtabaa (The whole rules of the Koran to qurtabaa)

٨- 'Ahkam alquran liaibn aleurbaa (The rules of the Koran to iaibn aleurbaa)

I ask God to fill the defect, and forgive the lapses. He is a close hearing and answer. The last prayer that Praise be to God of the worlds.

Dr. Mustafa Ahmed Mohamed Ahmed

Professor of Interpretation and Sciences of the Koran assistant at the Faculty of the fundamentals of religion in Tanta.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونستهديه ، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، وجاهد في الحق بالحق حتى أتاه اليقين .

ثم أما بعد ،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ ، وخير الهدي هدي رسولنا محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

فإذا تأملنا القرآن الكريم نجده كتاب الله المعجز ، ومعنى المعجز أنه لا ، ولم ، ولن تستطيع الإنسانية ولا غيرها الإتيان بمثله أو أقل آية منه ، وليس معنى ذلك عدم تدبر القرآن الكريم بتفسيره وإبراز معانيه وما فيه من علوم وحكم ومعارف لا تستغني الإنسانية عنها ، قال ﷻ في محكم آيات التنزيل : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** ﴾ (١) ، وقال ﷻ : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ (٢) ، وقال ﷻ : ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾ (٣).

(١) سورة النساء : الآية (٨٢) .
(٢) سورة محمد : الآية (٢٤) .
(٣) سورة القمر : الآية (١٧) .

وإنما أردت أن أبين أن التفسير بالمأثور وإن كان أصح وأسلم، إلا أنه لا يمنع من ولوج ساحة **التفسير العقلي (التفسير بالرأي)** المبني على أسس سليمة يعرفها المعنيون بهذا النوع من التفسير ، الذي درج علماء الأمة على محاولة سبر[١] أغوار كتاب الله مستعينين في ذلك بالمنحة الإلهية التي لا نظير لها، وهي فيض العقل الإنساني[٢] .

فاستعملوا الرأي بالعقل المضبوط بضوابط الشرع ، وولجوا محراب هذا النوع من التفسير، مستعينين بهدي ربهم الذي أخبرهم في كتابه بقوله: **﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾** [٣].

من هنا برزت في المكتبة القرآنية ومن قديم الزمان كتب بدأت تترى في التفسير بالرأي الجائز ، وتنافس فيه السابقون من مخلصي هذه الأمة الولادة التي لن ينتهي الصالحون منها حتى يوم الدين .

وإذعاناً للأوامر الإلهية عكف السلف الصالح ﷺ على مدارسة القرآن الكريم وتدبر آياته ومعانيه ، ومن هنا نشأت المدارس التفسيرية على اختلاف مشاربها وطرائقها وتعدد مذاهبها[٤] ، **ويجمعها نوعان من التفسير :**

أولاً : التفسير بالمأثور .

ثانياً : التفسير بالرأي .

---

(١) سبر غوره : أي خبره . انظر : المعجم الوجيز ، أعده مجمع اللغة العربية ، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

(٢) الذي عن طريقه شيدت الدنيا وعمرت .

(٣) سورة الكهف : من الآية (٣٠) .

(٤) حيث إن التفاسير قد تلونت أصنافها وأشكالها حسب مشرب كل مفسر ، فكان التفسير الفقهي ، واللغوي ، والبلاغي ، والاجتماعي ، والعلمي ، ومنها المطول ، والمتوسط ، والمختصر .. وغير ذلك .

ولفت انتباهي موضوع " **دراسة لأهم كتب التفسير بالرأي الجائز ومناهج مؤلفيها** "[1].

بيد أن هناك من المباحث ما رأيت أن لها الصدارة والأولوية لتمكنني من الكتابة فيها ، وهي :

- **معنى التفسير بالرأي وموقف العلماء منه .**
- **أقسام التفسير بالرأي .**
- **ما ينبغي معرفته قبل الإقدام على التفسير بالرأي، الذي يتناول : –**
  - **شروط المفسر .**
  - **آداب المفسر .**
  - **الأمور التي يجب البعد عنها في التفسير بالرأي .**
- **منهج المفسرين بالرأي .**
- **دراسة لأهم كتب التفسير بالرأي ومناهج مؤلفيها ، ويتناول ما يلي:**

١– مفاتيح الغيب . للرازي .

٢– لباب التأويل في معاني التنزيل . للخازن .

٣– البحر المحيط . لأبي حيان .

٤– غرائب القرآن ورغائب الفرقان . للنيسابوري .

٥– السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . للخطيب الشربيني .

٦– روح المعاني . للآلوسي .

٧– الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي .

٨– أحكام القرآن . لابن العربي .

---

(١) وهو محل البحث والدراسة – إن شاء الله ﷻ – .

وبعد فأرجو من الله ﷻ سد الخلل ، والتجاوز عن الهفوات إنه سميع قريب مجيب ، وأسأله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم أن ألقاه، وها أنذا أشرع في المقصود راجياً من الله العون والجود .

دكتور
مصطفى أحمد محمد أحمد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

معنى التفسير بالرأي وموقف العلماء منه

معنى التفسير بالرأي :

التفسير بالرأي عبارة عن : تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم [١] في القول ، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها ، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن ، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر .

موقف العلماء منه :

اختلف العلماء من قديم الزمان – منذ عرف التفسير – في جواز تفسير القرآن الكريم بالرأي . فقال فريق : إن تفسير القرآن بالرأي غير جائز [٢].

وقال آخرون إنه جائز [٣].

---

(١) نحا إلى الشئ نحواً : مال إليه وقصده ، فهو ناح ، ونحا الشئ : قصده . انظر : لسان العرب (٦ / ٤٣٧١) ط : دار المعارف ، المعجم الوسيط (٩٤٤) أعده مجمع اللغة العربية الناشر مكتبة الصحوة .

(٢) بمعنى أنهم تشددوا في ذلك فلم يجرءوا على تفسير شئ من القرآن ولم يبيحوه لغيرهم وقالوا : لا يجوز لأحد تفسير شئ من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو ، والأخبار ، والآثار ، وإنما له أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ ، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة – ﷺ– أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين .

انظر: التفسير والمفسرون . تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي (١ / ٢٤٦ ، ٢٤٧) نشر مكتبة وهبة .

(٣) بمعنى أنهم لم يروا بأساً من أن يفسروا القرآن باجتهادهم ، ورأوا أن من كان ذا أدب وسيع فموسع له أن يفسر القرآن برأيه واجتهاده. التفسير والمفسرون(١/ ٢٤٧).

فإذا نظرنا إلى هذين الفريقين **نجدهما على طرفي نقيض** ، منهم من مدحه وأوجبه ، ومنهم من رده وذمه وقال بعدم جوازه ، فقد اختلفت رؤاهم في التفسير بالرأي، وتشعبت فيه الأقوال والآراء[١] .

ولكننا إذا نظرنا إلى كل فريق من الفريقين (المجيزين ، والمانعين) نجدهم قد تطرفوا ، فنرى من المجيزين من يريد فتح باب التأويل على آخره ، ويريد الخوض في كل شيء بالرأي والاجتهاد ، وذلك بعيد عن الحق .

ونرى من المانعين من يريد الوقوف على المنقول ولا يتعداه .

فالجمود على المنقول إفراط ، والسماح لكل إنسان بالخوض في تفسير كتاب الله ﷻ تفريط ، وعلى هذا فالتوسط خير الأمور ، فما كان ينبغي التوقف عند المنقول فقط ، بل لابد من الاجتهاد والبحث والتأويل . بَيْدَ أن باب التأويل والاجتهاد لا يباح لكل متسول جهول ، بل لابد من الشروط والضوابط التي تؤهل المفسر للدراسة والتأويل ، وتعينه على الاجتهاد ، كما أن هناك أشياء لا يجوز الخوض فيها البتة [٢] .

فلو رجعنا إلى هؤلاء المتشددين في التفسير وهؤلاء المجوزين لاتضح لنا أن الخلاف لفظي لا حقيقي ، وفي بيان ذلك نقول : إن التفسير بالرأي قسمان : وهاك التوضيح :

(١) بين مجيز له ورافض ، ولا تزال هذه القضية أطروحة الأبحاث المعاصرة التي كتب فيها كثير من الباحثين المعاصرين من مشايخنا وأساتذتنا جزاهم الله عنا خير الجزاء.

(٢) دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين لفضيلة الدكتور / حسن يونس حسن عبيدو (ص ١٠٦) ، طبعة / مركز الكتاب للنشر .

أقسام التفسير بالرأي

التفسير بالرأي قسمان :

الأول : التفسير الجائز هو الجاري على موافقة الكتاب والسنة ، والقواعد المقررة في الشريعة والمنقولة عن أئمة السلف ، وموافقة كلام العرب ، أي يجب على المفسر أن يلاحظ في التفسير –بالرأي – الاعتماد على المنقول عن الرسول ﷺ وأصحابه مما ينير السبيل للمفسر برأيه ، وأن يكون عارفاً بقوانين اللغة ، بصيراً بقوانين الشريعة ، وأن يتجنب الخوض فيما لا يجوز الخوض فيه . **وبالجملة** يجب أن يتجنب الجهالة والضلالة ، وهذا بلا شك مقبول محمود [١].

الثاني : التفسير غير الجائز : وهو الذي لا يجري على قوانين اللغة ، ولا يكون موافقاً للأدلة الشرعية ، ولا للقواعد المقررة عن أئمة السلف ، فهذا النوع لا ريب في أنه مردود مذموم [٢] .

وقد وجد من المؤلفين في التفسير بالرأي من سلك بمؤلفاته الطريق المحمود ، ومنهم من اعترف بها وسلك مسالك الهوى بعيداً عن تحري الحق أو القصد إليه كما فعل أصحاب المذاهب المختلفة مثل الشيعة بأقسامهم ومعرفتهم ، ومثل فعل غيرهم ، وجدير بهذا النوع الأخير أن يفرد ببحث مستقل ، لا تكفي فيه العجالة [٣] .

□

(١) دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين (ص ١٠٦) .
(٢) المرجع السابق (ص ١٠٧) .
(٣) مدخل إلى مناهج المفسرين لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد السيد جبريل ص(١١٠) طبعة / دار الحرية للطباعة .

ما ينبغي معرفته قبل الإقدام على التفسير بالرأي

إذا كان العلماء قد أجازوا التفسير بالرأي ، **فإنهم قد وضعوا لذلك شروطاً وآداباً لا يجوز إغفالها** ، وعلى تحقيقها يتوقف كون هذا التفسير محموداً أو مذموماً ، وهاك التوضيح :

شروط المفسر وآدابه :

البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنفع وثمرته من أشهى الثمار التي تغذي الفكر وتنمي العقل ، لذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفه ، والبحث في العلوم الشرعية عامة ، وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه ، حتى يصفو مشربه ، ويحفظ روعة الوحي وجلاله [١] .

فالإقدام على تفسير كتاب الله ﷻ والاشتغال بذلك عمل جليل القدر عظيم الخطر ، يستلزم صفاء الذهن ونقاء الفكر وإخلاص القلب وسلامة العقل ، ولذلك فإنه لا ينبغي أن يقدم عليه إلا من استجمع الصفات ، واستوفى الشروط التي تؤهله لذلك .

ولقد أفاض العلماء في بيان هذه الشروط وتلك الآداب التي يجب توافرها فيمن يتصدى للتفسير .. وهاك الشروط :

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (٣٢٩) ط : مؤسسة الرسالة ، دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين (٩ ، ١٠) .

شروط المفسر

وقد ذكر العلماء للمفسر شروطاً نجملها فيما يلي :

الشروط الدينية والأخلاقية :

(١) صحة الاعتقاد : لأن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها وكثيراً ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار ، **لذا ينبغي لمن يشتغل بتفسير كتاب الله ﷻ** أن يكون صحيح العقيدة ، قوي الإيمان متحلياً بأخلاق القرآن ملازماً سنة الدين ، فإن من حرم هذا فقد حرم الأساس .

قال الإمام السيوطي نقلاً عن أبي طالب الطبري رحمه الله :

" **اعلم أن من شرطه أي – شرط المفسر – صحة الاعتقاد ،** ولزوم سنة الدين ، فإن من كان مغموضاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا ، فكيف على الدين ؟!! ثم لا يؤتمن في الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله ﷻ ، ولأنه لا يؤمن إن كان متهماً بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويغو الناس بِلَيِّهِ [١] وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة ، وإن كان متهماً بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته [٢] .

فإذا صنف أحدهم كتاباً في التفسير أول الآيات التي تخالف عقيدته ، وحملها باطل مذهبه ، ليصد الناس عن اتباع السلف ، ولزوم طريق الهدى ، وذلك بمعنى : أن صاحب العقيدة الفاسدة سيعمد إلى تحريف النص أو التعسف في تأويله وَلَيّ عنقه حتى يتفق مع معتقده فيضل ويضل الآخرين [٣] .

---

(١) الليّ : الباطل . المعجم الوجيز (٥٦٨) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (٤ / ١٧٤) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط مكتبة دار التراث .

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (٣٢٩) ، دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين (١٠) .

(٢) التجرد عن الهوى :

ينبغي لمن تصدى لأي بحث – فضلاً عن تفسير كتاب الله ﷻ أن يخلص الوجهة ويتحرى الحقيقة المجردة وأن ينخلع من الهوى والميل وأن يجعل الحق رائده .

فإن اتباع الهوى يدفع صاحبه إلى الانحراف عن الحق تعصباً لرأيه، ونصرة لمذهبه، فهوى به في ضلال مبين ، وقد انزلق إلى هذا الدرك أصحاب الأهواء وغلاة المذاهب، كطوائف القدرية والرافضة[١]، والمعتزلة [٢] وغيرهم فضلوا وأضلوا [٣] ، قال ﷻ ﴿ **وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [٤] .

كما يجب أن يتنزه عن الكبر وحب الدنيا وشهواتها ، فإذا تأملنا هذين الشرطين نجدهما شرطين دينيين أخلاقيين .

---

(١) يطلق لفظ الرفض ويراد به الذين رفضوا زيد بن علي وهم الذين كانوا معه ثم تركوه لأنهم طلبوا إليه أن يتبرأ من الشيخين ، فرفض التبرؤ منهما فرفضوه ، وتفرقوا عنه . وقد يطلق بعض الناس اسم الرفض على كل من يتولى أهل البيت ، حتى قال بعضهم:

إن كان رفضا حب آل محمد *** فليشهد الثقلان إني رافضي

وقد يطلق ويراد به الشيعة جميعاً .

انظر هامش الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٤٠) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط : دار التراث . بدون تاريخ .

(٢) المعتزلة : فرقة إسلامية . يسمون أصحاب (العدل) والتوحيد، ويلقبون (بالقدرية ، والعدلية) ، وهم قد جعلوا لفظ (القدرية) مشتركاً وقالوا : لفظ (القدرية) يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، احترازاً من وصمة اللقب ، إذ كان الذم به متفقاً عليه ، والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد : القول بأن الله تعالى قديم ونفوا الصفات القديمة ، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار، ونفي التشبيه، واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحقاً على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة، واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد وقالوا بخلود مرتكب الكبيرة في النار.

انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٦٦) تحقيق : محمد فريد ، المكتبة التوفيقية بدون تاريخ .

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٣٢٩) ، دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين (ص ١٠ ، ١١) .

(٤) سورة ص : من الآية (٢٦) .

(٣) **أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن** ، فما أجمل منه في موضع فإنه قد فصل في موضع آخر ، وما اختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان آخر [١] .

(٤) **أن يطلب التفسير من السنة فإنها شارحة للقرآن** موضحة له، وقد ذكر القرآن أن أحكام رسول الله ﷺ إنما تصدر منه عن طريق الله .

قال سبحانه :﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ** ﴾ [٢] ، وذكر الله ﷻ أن السنة مبينة للكتاب، قال تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[٣] .

وقال الشافعي رحمه الله : " كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن " [٤].

(٥) **فإذا لم يجد التفسير من السنة رجع إلى أقوال الصحابة** فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، والعمل الصالح .

(٦) **فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري وغيرهم من التابعين** ، ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة ، وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال ، والمعتمد في ذلك كله النقل الصحيح، **ولهذا قال أحمد** " **ثلاث كتب لا أصل لها:** المغازي والملاحم والتفسير" ، يعني بهذا التفسير الذي لا يعتمد على الروايات الصحيحة في النقل[٥] .

---

(١) الإتقان (٤ / ١٧٤) .
(٢) سورة النساء من الآية (١٠٥) .
(٣) سورة النحل الآية (٤٤) .
(٤) الإتقان (٤ / ١٧٤) .
(٥) الإتقان (٤ / ١٧٤) ، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٣٣٠) .

الشروط العلمية

فيجب على المفسر أن يتقن قدراً جيداً من العلوم التي تؤهله للتفسير ، ومن أهمها :

(٧) **العلم باللغة العربية وفروعها** : فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها وأوجه الإعراب واختلافاتها ، وتصريف الكلمة واشتقاقها ، وخواص تركيب الكلام ووجوه البيان والمعاني وتحسين الكلام حتى يقف على حقيقة الإعجاز القرآني .

قال مجاهد : " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب " .

وعلى وجه التحديد ينبغي للمفسر أن يحيط بالآتي :

أ – علم اللغة والاشتقاق بحيث يحيط بمعنى المفردات القرآنية في أصل استعمالها اللغوي ، وأن يعرف معناها زمن التنزيل وأن يكون واسع الاطلاع على قواميس اللغة وأصولها بحيث يعرف المترادف والمشترك ونحو ذلك .

ب – علم النحو والصرف : لأن المعنى يتوقف على معرفة الإعراب وضبط الكلمات وبالصرف تعرف أبنية الكلمة وصيغها .

ج – الأدب والعلوم والبلاغة ، البيان ، المعاني ، البديع ، لأن القرآن نزل على أساليب العرب البلغاء ، وتحداهم بإعجازه البياني والبلاغي ، فلابد للمفسر أن يكون عالماً بالأساليب البيانية مدركاً وجوه الإعجاز ليقف على خواص الكلام ووجوه جماله وحسنه ليقف على معاني القرآن وفهمه فهماً صحيحاً .

(٨) **علوم القرآن** : فينبغي للمفسر أن يكون واسع الاطلاع على أصول العلوم المتصلة بالقرآن الكريم ، متمكناً منها كعلم القراءات ، وعلم أسباب النزول ، ومعرفة المكي والمدني ، والمحكم والمتشابه ، والعام والخاص ،

والناسخ والمنسوخ .. الخ ، فإن ذلك يساعده على فهم معاني القرآن ، ويعصمه من الوقوع في الزلل ، ولا يخفى أنه يجب على المفسر أن يكون حافظاً لنص القرآن محيطاً به ليكون قادراً على فهم القرآن حق فهمه مدركاً له تمام الإدراك .

(٩) علم أصول الدين والتوحيد : فهذا يمكن المفسر من فهم أصول العقيدة الإسلامية كمعرفة الصفات الواجبة لله تعالى ، وغير ذلك مما يجب لله وما يجوز في حقه وما يستحيل عليه سبحانه ، وكذا يعينه على فهم المحكم والمتشابه ، من الآيات ويجنبه الزلل .

(١٠) علم أصول الفقه : فهذا العلم ضروري للمفسر ، كما هو ضروري للفقيه ، لعصمته من الوقوع في الخطأ في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات ، ويعينه على معرفة وجوه الاستدلال من النص وضبط قواعد الاستنباط ويتبع علم الأصول أن يكون عالماً في الفقه عارفاً للأحكام الشرعية وأدلتها ليتمكن من استيعاب الأحكام .

(١١) الحديث وعلومه : فمن الواجب على المفسر أن يكون عالماً بسنة رسول الله ﷺ رواية ودراية ، ليقف على التفسير المأثور ويعرف ما ورد في السنة مفصلاً لمجمل القرآن وما جاء فيها مبيناً وشارحاً لمنهجه فضلاً عن معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وتاريخ نزول القرآن وغير ذلك مما كفلت السنة ببيانه ، كما ينبغي أن يقف على أقوال الصحابة والتابعين ، فهم أدرى الناس بالقرآن وعلومه **ويتعلق بدراسة المفسر للحديث** دراسته للسيرة النبوية لمعرفة الوقائع والأحداث والآيات التي نزلت فيها كشأن بعض الغزوات وأحوال الجهاد [١] .

(١) الإتقان (٤ / ١٨٥ – ١٨٨) ، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (٣٣١) ، دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين (١٠ – ١٣) .

(١٢) علم القراءات : لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات ومعرفة طرق الاستنباط تُرَجِّح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

(١٣) ثقافة العصر وأحوال المجتمع : ومما يلزم المفسر أن يكون عالماً بزمانه خبيراً بمجتمعه يعرف إيجابياته وسلبياته وأمراضه وأدواؤه ليكون قادراً على مخاطبة الناس على قدر عقولهم وأفهامهم ، مراعياً الواقع الذي يعيشونه فيكون داعياً إلى الله على بصيرة ويصل بالقرآن إلى علاج أمراضهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

فيجب على المفسر أن يلم بعلوم التاريخ والاجتماع وعلم النفس وعلوم الكون الأخرى ، مستعيناً بذلك على فهم وشرح مقاصد القرآن .

ومن أهم الشروط ، أو العلوم التي ينبغي أن يتحلى بها المفسر علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الإشارة بحديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعمل** " [١] .

قال الإمام السيوطي [٢] رحمه الله : ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول :

هذا شيء ليس في قدرة الإنسان ، وليس كما ظننت من الأشكال والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد

قال في البرهان : اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب ، أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق ،

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠ / ١٥) ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
وانظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل العجلوني (٢ / ٢٦٥) ط: مكتبة الغزالي ، دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، لبنان .
(٢) الإتقان (٤ / ١٨٨) .

أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقولة ، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض .

قلت : وفي هذا المعنى قوله تعالى ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ** ﴾ (١) .

قال سفيان بن عيينة : يقول أنزع عنهم فهم القرآن (٢) .

دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر ، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة .

فينبغي أن يكون المفسر فقيه النفس ذا قدرات عقلية فائقة يستطيع بها فهم مقاصد القرآن وإدراك مراميه ، وفقه أسلوبه والغوص في معانيه وأن يكون قوي الاستدلال دقيق الفهم حسن الاستنباط ، قادراً على استيعاب المعاني ، والأقوال ، قادراً على الترجيح إن تعارضت الأدلة ، وعلى الجمع بين الأقوال والموازنة بين الآراء عند اختلافها وتنوعها .

كل هذه العلوم وتلك المعارف لابد للمفسر أن يحيط بها ، ويتسلح قبل إقدامه على كتاب الله ﷻ كي يصل إلى فهمه ويقف على مراميه .

فكتاب الله ﷻ عظيم القدر ، جليل الخطر لا ينبغي أن يجرؤ على تفسيره وشرحه إلا من استوفى الشروط واستكمل المؤهلات ، وبقدر تحصيل المفسر لها وتمكنه منها بقدر ما يفهم وينهل من بحر القرآن وعلومه ويعرف من أسراره ومكنونه (١) .

---

(١) سورة الأعراف من الآية (١٤٦) .

(٢) الإتقان (٤ / ١٨٨) .

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (٣٣١) ، دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين (١٣ ، ١٤) .

قال الإمام بدر الدين الزركشي رحمه الله :

" كتاب الله ﷻ بحره عميق ، وفهمه دقيق لا يصل إلى فهمه إلا من تبحر في العلوم وعامل الله بتقواه في السر والعلانية ، وأَجَلَّهُ عند مواقف الشبهات ، واللطائف ، والحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد ، فالعبارات للعموم ، وهي للسمع والإشارات للخصوص وهي للعقل ، واللطائف للأولياء وهي المشاهد ، والحقائق للأنبياء وهي الاستسلام " [(١)] .

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢ / ١٥٣ ، ١٥٤) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : مكتبة دار التراث .

آداب المفسر

وثمة آداب ينبغي أن يتحلى بها المفسر ، ومن ذلك :

[١] حسن النية وصحة المقصد : فإنما الأعمال بالنيات ، والعلوم الشرعية أولى بأن يكون هدف صاحبها منها الخير العام ، وإسداء المعروف لصالح الإسلام ، وأن يتطهر من أعراض الدنيا ليسدد الله ﷻ خطاه ، والانتفاع بالعلم ثمرة الإخلاص فيه .

[٢] حسن الخلق والتحلي بآداب الإسلام وأخلاق القرآن :

فالمفسر في موقف المؤدب ، ولا تبلغ الآداب مبلغها في النفس إلا إذا كان المؤدب مثالاً يحتذى به في الخلق والفضيلة ، والكلمة النابية قد تصرف الطالب عن الاستفادة مما يسمع أو يقرأ وتقطع عليه مجرى تفكيره .

[٣] الامتثال والعمل بما يدعو الناس إليه : فإن العلم يجد قبولاً من العاملين أضعاف ما يجد من سمو معارفه ودقة مباحثه ، وحسن السيرة يجعل المفسر قدوة حسنة لما يقرره من مسائل الدين ، وكثيراً ما يصد الناس عن تلقي العلم من بحر زاخر في المعرفة لسوء سلوكه وعدم تطبيقه .

[٤] الأمانة العلمية وتحري الصدق والضبط في النقل :

فلا يتكلم أو يكتب إلا عن تثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من التصحيف واللحن .

[٥] التواضع ولين الجانب : فالتكبر والتعالي والصلف [١] العلمي حاجز حصين يحول بين العالم وبين الانتفاع بعلمه .

---

(١) الصلف : هو التكبر والتفاخر . انظر المعجم الوجيز (٣٦٩) ، مختار الصحاح لمحمد ابن أبي بكر عبد القادر الرازي (٣٦٨) ط : دار المتنبي للطباعة والنشر بيروت لبنان ودار مكتبة الثقافة الجديدة أبو ظبي ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

[٦] عـزة الـنفس : فمـن حـق العـالم أن يترفـع عـن سفاسـف الأمور ولا يغشي أعتاب الجاه والسلطان كالسائل المتكفف .

[٧] الجهر بالحق والشجاعة في القول : فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

[٨] حسـن السـمت واستشـعار عظمـة الله ﷻ ومخافتـه فـي الأمور كلها : فإن ذلك يكسبه الهيبة والوقار الذي يليق بما يقوم به من عمل جليل .

[٩] الأناة والروية : فلا يسرد الكلام سرداً بل يفصل ويبين ويوضح .

[١٠] **أن يحذر من إخضاع النص الكريم** لفكرة سابقة عنده بل عليه أن يصفي فكره ليجعل كتاب الله قائداً وحاكماً لفكره وسلوكه

[١١] **تقديم من هو أولى منه :** فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم وهم أحياء ، ولا يغمطهم [١] حقهم بعد الممات، بل يرشد إلى الأخذ عنهم وقراءة كتبهم .

[١٢] حسن الإعداد وطريقة الأداء : كأن يبدأ بذكر سبب النزول ، ثم معاني المفردات وشرح التراكيب وبيان وجوه البلاغة والإعراب الذي يتوقف عليه تحديد المعنى ، ثم يبين المعنى العام ويصله بالحياة العامة التي يعيشها الناس في عصره ، ثم يأتي إلى الاستنباط والأحكام .

أما ذكر المناسبة والربط بين الآيات أولاً وآخراً ، فذلك حسب ما يقتضيه النظم والسياق .

[١٣] أن يختار المكان المناسب والجو الملائم لتفسير كتاب الله ﷻ حتى يقع الموقع اللائق بفهم كتاب الله ﷻ ودراسته .

---

(١) غمط فلان فلاناً غمطاً : استصغره واحتقره . وغمط النعمة كفرها ولم يشكرها وغمط الحق غمطاً أنكره وهو يعلمه . المعجم الوجيز (٤٥٥) .

[١٤] أن يخاطب الناس على قدر عقولهم ويحدثهم بقدر ثقافتهم ، ويحسن الإعداد ويتقن العرض ليرتقي بهم إلى آفاق الكمال الإيماني ويأخذ بأيديهم إلى طريق الهدى والرشاد .

[١٥] **أن يتجنب التكلف والتقعر** (١) **في الكلام** ويترك الآراء الغريبة الشاذة في التفسير (٢) .

فبعد كل هذا خرجنا من المعركة التي قامت بين المتحرجين من القول في التفسير بالرأي والمجيزين له بأن الخلاف لفظي لا حقيقي، وأسفرت النتيجة عن انقسام التفسير بالرأي إلى قسمين : قسم جائز ممدوح ، وقسم حرام مذموم ، وعرفت الشروط والآداب التي يجب أن تتوافر فيمن يتصدى لتفسير كتاب الله ﷻ حتى يكون أهلاً للتفسير بالرأي الجائز .

---

(١) التقعر : التعمق . قعَّرَ الشئ : عَمَّقه . والقعر من كل شئ أجوف : منتهى عمقه . القعران : إناء قعران أي عميق . انظر: المعجم الوسيط (٧٧٨) .

(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطاع (٣٣١ ، ٣٣٢) ، دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين (١٥ ، ١٦) والله أعلم .

الأمور التي يجب البعد عنها في التفسير بالرأي

والتي من أهمها ما يلي :

١ – **التهجم على تبيين مراد الله ﷻ من كلامه** مع الجهالة بقوانين اللغة وأصول الشريعة وبدون أن يُحَصِّل العلوم التي يجوز معها التفسير .

٢ – **الخوض فيما استأثر الله تعالى بعلمه** ، وذلك كالمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، فليس للمفسر أن يتهجم على الغيب بعد أن جعله الله تعالى سراً من أسراره وحجبه عن عباده .

٣ – **السير مع الهوى والاستحسان** ، فلا يفسر بهواه ولا يرجح باستحسانه .

٤ – **التفسير المقرر للمذهب الفاسد** ، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً فيحتال في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته ، ويرده إلى مذهبه بأي طريق أمكن وإن كان غاية في البعد والغرابة .

٥ – **التفسير مع القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل** وهذا منهي عنه شرعاً [١] لقوله تعالى ﴿ **وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [٢] .

ويمكن تلخيص هذه الأمور الخمسة في كلمتين هما الجهالة والضلالة .

وينبغي أن يعلم أن في القرآن الكريم أشياء استأثر الله ﷻ بعلمها وحده كمعرفة ذاته وصفاته وغيوبه التي لا يعلمها إلا هو ، وهذا النوع من العلم لا يجوز الكلام فيه لأحد إجماعاً ، وثمة نوع أطلع الله

(١) التفسير والمفسرون (١ / ٢٦٣) ، مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني (٢ / ٥٠) ط / دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٢) سورة البقرة من الآية (١٦٩) .

عليه نبيه ﷺ واختصه به ، وهذا لا يجوز الكلام فيه لغيره عليه الصلاة والسلام ، قيل ومن ذلك أوائل السور .

وهناك علوم علمها الله تعالى نبيه وأمره بتبليغها كالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والقراءات وقصص الأمم الماضية وأخبار الحشر والنشر ، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع والنقل .

وهناك قسم يعرف بطريق النظر والاستدلال وهذا منه المختلف في جوازه وهو ما يتعلق بالآيات المتشابهات ، ومنه المتفق على جوازه وهو ما يتعلق بآيات الأحكام والمواعظ ، والحكم والأمثال ونحوها ، ولكن ذلك لا يتأتى إلا لمن له أهلية النظر والاجتهاد [1] .

(١) مناهل العرفان (٢ / ٥٠ ، ٥١) .

منهج المفسرين بالرأي

عرفنا فيما تقدم الشروط والآداب التي يجب توافرها فيمن تصدى لتفسير كتاب الله ﷻ ، ثم يأتي بعد ذلك ضوابط وقواعد يجب أن يسير على هداها كي يسلم من الزلل ويعتصم من الخطأ ، وهذه القواعد إن التزم بها المفسر ولم يخرج عن نطاقها فإن منهجه يكون صحيحاً ، ويكون حينئذ قد أصاب المراد أو كاد ، وتفسيره يكون محل الرضا والقبول .

وهاك القواعد :

أن يطلب المعنى من القرآن الكريم ، فإن لم يجده طلبه من السنة، لأنها شارحة للقرآن وموضحة له ، وقد ذكر جل وعلا أن السنة مبينة للكتاب ، قال تعالى ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (١) .

وأكد ذلك ﷺ فقال : " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه " (٢) يعني السنة .

فإن أعياه الطلب رجع إلى أقوال الصحابة لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن وأحوال نزوله ، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، ولاحتمال أن يكونوا سمعوه من الرسول ﷺ ، وليتحاشى الضعيف والموضوع والإسرائيليات ، **فإن لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، فإنه بوسعه أن يرجع إلى أقوال التابعين** ، فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين ، فإنهم كمجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء والحسن البصري وغيرهم من الأئمة الذين كانوا أسس التفسير وأعمدته

---

(١) سورة النحل (٤٤) .

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب السنة باب في لزوم السنة،الحديث(٤٦٠٤) (٤ / ٢٦٣) انفرد به أبو داود ، تحقيق الشيخ / خليل مأمون شيحا ، ط / دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

الأولى [١] ، **فإن اتفقوا على شئ بمعنى أنهم إذا أجمعوا على شئ فلا يرتاب في كونه حجة** ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ، **ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن الكريم أو السنة أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك** [٢] ، **أما إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره** [٣] .

مما سبق يتضح لنا أن التابعين إذا اتفقوا على شيء كان ذلك أمارة على تلقينه عن الصحابة وإن اختلفوا تخير من أقوالهم ، ورجح ما يشهد له الدليل ، فإن لم يجد في أقوالهم ما يصلح أن يكون تفسيراً للآية لكونه ضعيفاً أو موضوعاً أو من الإسرائيليات التي حملوها عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، فليجتهد رأيه ولا يألوا – أي لا يقصر – إذا استكمل أدوات الاجتهاد واستعمل رأيه وعقله في الكشف عن مراد الله ﷻ مستنداً إلى القواعد والشروط التي يجب توافرها فيه على ما سبق بيانه .

(١) دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين (ص ١١١) .
(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (٩٨) ط : دار الصحابة .
(٣) التفسير والمفسرون (١ / ١٣٠) .

دراسة لأهم كتب التفسير بالرأي الجائز ومناهج مؤلفيها

١ -مفاتيح الغيب (للرازي)

- **التعريف بمؤلف هذا التفسير :**

هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبدالله فخر الدين الرازي الإمام المفسر ، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، وهو قرشي النسب أصله من طبرستان ، ولد في الرى سنة ٥٤٤هـ ، وإليها نسبته، ويقال له : " ابن خطيب الرى " رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها ، وكان يحسن الفارسية ، **من أهم مؤلفاته :** "مفاتيح الغيب " و " معالم أصول الدين " و " المسائل الخمسون في أصول الكلام " وغيرها ، توفى في هراة سنة ٦٠٦هـ[١] .

- **التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه (منهجه فيه) :**

يقع هذا التفسير في ثماني مجلدات كبار، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم . ويقول ابن قاضي شهبة[٢] : إنه – أي الفخر الرازي – لم يتمه ، إذن فمن الذي أكمل هذا التفسير ؟ وإلى أي موضع من القرآن وصل الفخر الرازي في تفسيره ؟

الحق أن هذه المشكلة لم نوفق إلى حلها حلاً حاسماً، لتضارب أقوال العلماء في هذا الموضوع، فابن حجر العسقلاني يقول : " الذي أكمل تفسير الفخر الرازي هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي نجم الدين المخزومي القمولي، مات سنة ٧٢٧هـ وهو مصري " .

والقارئ لهذا التفسير لا يكاد يلحظ فيه تفاوتاً في المنهج والمسلك،

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي (٣١٣/٦) طبعة / دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٦٥/٢، ٦٦) طبعة / عالم الكتب .

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٦٦) .

بل يجري الكتاب من أوله إلى آخره على نمط واحد وطريقة واحدة، تجعل الناظر فيه لا يستطيع أن يميز بين الأصل والتكملة ، ولا يتمكن من الوقوف على حقيقة المقدار الذي كتبه الفخر، والمقدار الذي كتبه صاحب التكملة .

هذا وإن تفسير الفخر الرازي ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء، وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح شتى من العلم(١)، ولهذا يصفه ابن خلكان فيقول :" إنه – أي الفخر الرازي – جمعه فيه كل غريب وغريبة "(٢) .

- **اهتمام الفخر الرازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره :**

وقد قرأت في هذا التفسير ، فوجدت أنه يمتاز بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، وبين السور بعضها مع بعض، وهو لا يكتفي بذكر مناسبة واحدة ، بل كثيراً ما يذكر أكثر من مناسبة .

- **اهتمامه بالعلوم الرياضية والفلسفية :**

كما أنه يكثر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية، وغيرها من العلوم الحادثة في الملة، على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية وغيرها، كما أنه يعرض كثيراً لأقوال الفلاسفة بالرد والتفنيد، وإن كان يصوغ أدلته في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاتهم العقلية، ولكن بما يتفق ومذهب أهل السنة .

- **موقفه من علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة :**

ثم إن الفخر الرازي لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها، مع ترويجه لمذهب الشافعي – الذي يقلده – بالأدلة والبراهين .

---

(١) التفسير والمفسرون (١/٢٧٧-٢٧٩) .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢٤٩) ، ط : دار صادر بيروت ، تحقيق د / إحسان عباس .

كذلك نجده يستطرد لذكر المسائل الأصولية، والمسائل النحوية، والبلاغية، وإن كان لا يتوسع في ذلك توسعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية .

وبالجملة فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة؛ إذ أن هذه الناحية هي التي غلبت حتى كادت تقلل من أهمية الكتاب كتفسير للقرآن الكريم .

ويظهر لنا أن الإمام فخر الدين الرازي كان مولعاً بكثرة الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره، ما دام يستطيع أن يجد صلة ما بين المستنبط أو المستطرد إليه وبين اللفظ القرآني، والذي يقرأ مقدمة تفسيره لا يسعه إلا أن يحكم على الفخر هذا الحكم، وذلك حيث يقول : " اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات ، أن هذه السورة الكريمة – يريد الفاتحة – يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني، فلما فرغت في تصنيف هذا الكتاب، قدمت هذه المقدمة ؛ لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول ، قريب الوصول ... " .

وبعد .. فالكتاب بين يديك، فأجل نظرك في جميع نواحيه، فسوف لا ترى إلا ما قلته فيه ، وما حكمت به عليه[١] .

(١) التفسير والمفسرون (١/٢٧٩ – ٢٨٢) .

٢ -لباب التأويل في معاني التنزيل (للخازن)

- **التعريف بمؤلف هذا التفسير :**

مؤلف هذا التفسير هو علاء الدين، أبو الحسن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي ، البغدادي الشافي الصوفي، المعروف بالخازن اشتهر بذلك لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق .

ولد ببغداد سنة ٦٧٨هـ ، وسمع بها من ابن الدواليبي ، وقدم دمشق فسمع من القاسم بن مظفر ووزيرة بنت عمر، واشتغل بالعلم كثيراً ، وكان من أهل العلم، جمع وألف، وحدث ببعض مصنفاته " . وقد خلف – رحمه الله – كتباً جمة في فنون مختلفة، فمن ذلك : لباب التأويل في معاني التنزيل، وهو التفسير الذي نريد الكلام عنه ، وشرح عمدة الأحكام ومقبول المنقول في عشر مجلدات، جمع فيه بين مسندي الشافعي وأحمد والكتب الستة والموطأ وسنن الدارقطني ، ورتبه على الأبواب، وجمع سيرة نبوية مطولة .

وكان رحمه الله حسن السمت، بشوش الوجه، كثير التودد للناس، توفى سنة ٧٤١هـ بمدينة حلب ، فرحمه الله رحمة واسعة[١].

(١) طبقات المفسرين للداودي (٤٢٦/١، ٤٢٧) ط / دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، شذرات الذهب (١٣١/٦) ط / دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- **التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه (منهجه فيه) :**

هذا التفسير اختصره مؤلفه من معالم التنزيل للبغوي، وضم إلى ذلك ما نقله ولخصه من تفاسير من تقدم عليه، وليس له فيه – كما يقول – سوى النقل والانتخاب، مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل والإسهاب .

وهو مكثر من رواية التفسير المأثور إلى حد ما ، معني بتقرير الأحكام وأدلتها، مملوء بالأخبار التاريخية، والقصص الإسرائيلي الذي لا يكاد يسلم كثير منه أمام ميزان العلم الصحيح والعقل السليم.

- **توسعه في ذكر الإسرائيليات :**

وقد قرأت في هذا التفسير كثيراً فوجدته يتوسع في ذكر القصص الإسرائيلي وكثيراً ما ينقل ما جاء من ذلك عن بعض التفاسير التي تعنى بهذه الناحية كتفسير الثعلبي وغيره، وهو في الغالب لا يعقب على ما يذكر من القصص الإسرائيلي ، ولا ينظر إليه بعين الناقد البصير ، وإن كان في بعض المواضيع لا يترك القصة تمر بدون أن يبين لنا ضعفها أو كذبها، ولكن على ندرة .

فمثلاً عند تفسيره لقوله –ﷻ–: ﴿ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ..** ﴾[١] نراه يذكر قصة أصحاب الكهف، وسبب خروجهم إليه ، عن محمد بن إسحاق ومحمد بن يسار،وهي غاية في الطول والغرابة ، ومع هذا فهو يذكرها ولا يعقب عليها بلفظ واحد [٢] .

(١) سورة الكهف الآية (١٠) .

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٩٢/٤) وما بعدها ، ط / مصطفى البابي الحلبي ، الثانية ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م .

- **عنايته بالأخبار التاريخية :**

كذلك نلاحظ على هذا التفسير أنه يفيض في ذكر الغزوات التي كانت على عهد النبي-ﷺ- وأشار إليها القرآن .

فمثلاً : عند تفسيره لقوله -ﷻ-: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً** ﴾ [1] نراه بعد أن يفرغ من التفسير يقول : " ذكر غزوة الخندق وهي الأحزاب " ثم يذكر وقائع الغزوة وما جرى فيها باستفاضة وتوسع[2] .

- **عنايته بالناحية الفقهية :**

كذلك نجد هذا التفسير يعني جد العناية بالناحية الفقهية، فإذا تكلم عن آية من آيات الأحكام، استطرد إلى مذاهب الفقهاء وأدلتهم، وأقحم في التفسير فروعاً فقهية كثيرة، قد لا تهم المفسر بوصف كونه مفسراً في قليل ولا كثير .

فمثلا : عند تفسيره لآية الظهار التي في أول سورة المجادلة نراه يسوق فصلاً في أحكام الكفارة، وما يتعلق بالظهار، ويورد فيه ثماني مسائل لا نطيل بذكرها[3] .

- **عنايته بالمواعظ :**

ثم إن هذا التفسير كثيراً ما يتعرض للمواعظ والرقاق، ويسوق أحاديث الترغيب والترهيب، ولعل نزعة الخازن الصوفية التي أثرت فيه فجعلته يعنى بهذه الناحية ويستطرد إليها عند المناسبات .

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٩) .
(٢) تفسير الخازن (٢٣٣/٥) وما بعدها .
(٣) التفسير والمفسرون (١/ ٢٩٩) .

فمثلاً : عند تفسيره لقوله -ﷻ-: ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ...** ﴾ [١] نراه يقول بعد الانتهاء من التفسير : " فصل في فضل قيام الليل والحث عليه " .. ثم يسوق في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي -ﷺ- كلها تدور على البخاري ومسلم والترمذي[٢] .

وهكذا نجد هذا التفسير يطرق موضوعات كثيرة في نواح من العلم مختلفة ، ولكن شهرته القصصية، وسمعته الإسرائيلية أساءت إليه كثيراً، وكادت تصد الناس عن الرجوع إليه والتعويل عليه !! ولعل الله يهيئ لهذا الكتاب من يعلق عليه بتعليقات توضح غثه من سمينه ، وتستخلص صحيحه من سقيمه[٣] .

(١) سورة السجدة الآية (١٦) .
(٢) تفسير الخازن (٢٢٣/٥) وما بعدها .
(٣) التفسير والمفسرون (٣٠٠/١) .

٣ -البحر المحيط (لأبي حيان)

- **التعريف بمؤلف هذا التفسير :**

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي أثير الدين أبو حيان الغرناطي، المفسر المشهور، وصاحب التصانيف الكثيرة الواسعة في اللغة والنحو والمعاني والفقه ، وغيرها ، توفى سنة ٧٤٥هـ[١].

- **التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه (منهجه فيه) :**

يقع هذا التفسير في ثمان مجلدات كبار، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم، ومعتبر عندهم المرجع الأول لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم؛ إذ أن الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز، والمؤلف إذ يتكلم عن هذه الناحية ، فهو ابن بَجْدَتِها[٢]، وفارس حلبتها، **غير أنه – والحق يقال –** قد أكثر من مسائل النحو في كتابه، مع توسعه في مسائل الخلاف بين النحويين حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير .

هذا ، وإن أبا حيان – رحمه الله تعالى – ينقل في تفسيره كثيراً من تفسير الزمخشري، وتفسير ابن عطية، خصوصاً ما كان من مسائل النحو ووجوه الإعراب كما أنه يتعقبهما كثيراً بالرد والتفنيد لما قالاه في مسائل النحو على الخصوص، ولكثرة هذا التعقيب منه على كلام الزمخشري وابن عطية تجد تلميذه تاج الدين أحمد بن عبدالقادر بن أحمد بن مكتوم المتوفى سنة ٧٤٩هـ يختصر هذا التفسير في كتاب **سماه " الدر اللقيط**

---

(١) الأعلام للزركلي (١٥٢/٧) .

(٢) أي العالم بالشيء المتقن له ، فـ " البجدة " هي حقيقة الأمر وباطنه ، يقال : هو ابن بجدتها : العام بالشيء المتقن له ، وأصله الدليل الهادي في الصحراء . انظر : المعجم الوجيز ص(٣٦).

من البحر المحيط " يكاد يقتصر فيه على مباحثه مع ابن عطية والزمخشري ورده عليها ، وهذا المختصر توجد نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر ،كما أنه مطبوع على هامش البحر المحيط.

وكثيراً ما يحمل أبو حيان على الزمخشري حملات ساخرة قاسية من أجل آرائه الاعتزالية ، ومع ذلك نجده يشيد بما للزمخشري من مهارة فائقة في تجلية بلاغة القرآن وقوة بيانه، حيث يصفه بأنه أوتى من علم القرآن أوفر حظ ، جمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ .

هذا ، وإن أبا حيان يعتمد في أكثر نقول كتابه هذا – كما يقول– على كتاب " التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير " من جمع شيخه الصالح، القدوة، الأديب جمال الدين أبي عبدالله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المقدسي ، المعروف بابن النقيب – رحمه الله – إذ هو أكبر كتاب صنف في علم التفسير ، يبلغ في العدد مائة سفر أو يكاد .

ونهاية القول فإن أبا حيان قد غلبت عليه في تفسيره الناحية التي برز فيها وبرع وهي الناحية النحوية التي طغت على ما عداها من نواحي التفسير[١] .

(١) التفسير والمفسرون (١/٣٠٠-٣٠٤) .

٤ -غرائب القرآن ورغائب الفرقان (للنيسابوري)

- **التعريف بمؤلف هذا التفسير :**

مؤلف هذا التفسير هو الإمام الشهير والعلامة الخطير، نظام الدين ابن الحسن بن محمد بن الحسين، الخراساني النيسابوري، المعروف بالنظام الأعرج، أصله وموطن أهله وعشيرته مدينة قُمّ ، وكان منشؤه وموطنه بديار نيسابور، كان رحمه الله من أساطين العلم بنيسابور، ملماً بالعلوم العقلية ، جامعاً لفنون اللغة العربية، له القدم الراسخ في صناعة الإنشاء ، والمعرفة الوافرة بعلم التأويل والتفسير .

وهو معدود في عداد كبار الحفاظ والمقرئين ، وكان مع هذه الشهرة العلمية الواسعة على جانب كبير من الورع والتقوى ، وعلى مبلغ عظيم من الزهد والتصوف[١] .

(١) انظر ترجمته في آخر تفسيره (٣٤٦٨/٤) .

- **التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه (منهجه فيه) :**

اختصر النيسابوري تفسيره هذا من التفسير الكبير للفخر الرازي، وضم إلى ذلك بعض ما جاء في الكشاف وغيره من التفاسير، وما فتح الله به عليه من الفهم لمحكم كتابه، وضمنه ما ثبت لديه من تفاسير سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين .

- **موقفه من الزمخشري والفخر الرازي :**

هو إذا يختصر كلام الفخر الرازي، أو يقتبس من تفسير الكشاف أو غيره، لا يقف عند النص وقوف من يجمد عند النصوص ويرى أنها ضربة لازب عليه فلا يعترض ولا يتصرف، بل نجده حراً في تفكيره، متصرفاً فيما يختصر أو يقتبس، فإن وجد فساداً نبه عليه وأصلحه ، وإن رأى نقصاً تداركه فأتمه وأكمله .

فمثلاً : عند تفسيره لقوله -ﷻ-: ﴿ **وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..** ﴾ [١] يقول ما نصه : " قال جار الله : الغرض من هذا الكلام – إذا أخذته كما هو بجملته– تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله، من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهة حقيقة ، أو إلى جهة مجاز، وكذلك حكم ما يروى عن عبدالله بن مسعود : أن رجلاً من أهل الكتاب جاء النبي-ﷺ- فقال : يا أبا القاسم ... إن الله يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، والأرض على إصبع ، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع ، والخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله-ﷺ- تعجباً مما قال ، وأنزل الله الآية تصديقاً له ... " [٢] .

(١) سورة الزمر الآية (٦٧) .

(٢) غرائب القرآن للنيسابوري (٤/٢٩٠٠) ط / دار الصفوة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م . طبعة / أولى .

- **منهجه في التفسير :**

ثم إننا نجد الإمام النيسابوري، قد سلك في تفسيره مسلكاً قد يكون منفرداً به من بين المفسرين؛ ذلك أنه يذكر الآيات القرآنية أولاً، ثم يذكر القراءات، مع التزامه ألا يذكر ما كان منها منسوباً إلى الأئمة العشرة وإضافة كل قراءة إلى صاحبها الذي تنسب إليه ، ثم بعد ذلك يذكر الوقوف مع التعليل لكل وقف منها ، ثم بعد ذلك يشرع في التفسير، مبتدئاً بذكر المناسبة، وربط اللاحق بالسابق مع عناية كبيرة بذلك سَرَتْ إليه من التفسير الكبير للفخر الرازي، ثم بعد ذلك يبين معاني الآيات بأسلوب بديع، يشتمل على إبراز المقدرات، وإظهار المضمرات، وتأويل المتشابهات، وتصريح الكنايات، وتحقيق المجاز والاستعارات، وتفصيل المذاهب الفقهية مع توجيه أدلة كل مذهب وما حصلت عليه الآية القرآنية لتكون مؤيدة لمذهب من المذاهب، أو غير متعارضة معه ولا منافية له .

فمثلاً : عند تفسيره لقوله -ﷻ-: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا..** ﴾[1] نجده يقول : " واعلم أن الكلام في السرقة ، يتعلق بأطراف المسروق، ونفس السرقة، والسارق.."ثم يمضي فيتكلم عن هذه النواحي الثلاث من الناحية الفقهية ، بتفصيل واسع وتوجيه للأدلة[2] .

- **خوضه في المسائل الكلامية :**

كذلك نجده يخوض في المسائل الكلامية، فيذكر مذهب أهل السنة ومذهب غيرهم مع ذكره لأدلة كل مذهب، وانتصاره لمذهب أهل السنة وتأييده له، ورد ما يرد عليه من جانب المخالفين .

(١) سورة المائدة الآية (٣٨) .
(٢) تفسير النيسابوري (١١٣١/٢) .

فمثلاً : عند تفسيره لقوله -ﷻ-: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً ...** ﴾[١] تجده يقول : " وفي الآية دلالة على أن الله -ﷻ- هو الذي يصرف عن الإيمان، ويحول بين المرء وبين قلبه، وقالت المعتزلة : لا يمكن إجراؤها على ظاهرها، وإلا كان حجة للكفار ؛ ولأنه يكون تكليفاً للعاجز، ولم يتوجه ذمهم في قولهم : ﴿ **وقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْف** ﴾[٢] فلابد من التأويل، وذلك من وجوه . ثم ساق خمسة أوجه للمعتزلة ، وبعد أن فرغ منها تعقبها بالرد عليها، تفنيداً لمذهب المعتزلة ، وتصحيحاً لمذهب أهل السنة[٣].

- **خوضه في المسائل الكونية والفلسفية :**

كذلك إذا مَرَّ النيسابوري على آية من الآيات الكونية لا يمر عليها بدون أن يخوض بأسرار الكون وكلام الطبيعيين والفلاسفة .

فمثلاً : عند تفسيره لقوله -ﷻ-: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأهِلَّة...** ﴾ [٤] نراه يذكر سبب نزول الآية ، وهنا يتعرض للسبب الذي من أجله يبدو الهلال دقيقاً ثم يزيد شيئاً فشيئاً حتى يصير بدراً، ثم يأخذ في النقصان إلى أن يعود كما بدأ "[٥] .

- **النزعة الصوفية في تفسير النيسابوري :**

ثم إن النيسابوري بعد أن يفرغ من تفسير الآية يتكلم عن التأويل، والتأويل الذي يتكلم عنه هو عبارة عن التفسيرات الإشارية للآيات القرآنية التي يفتح الله بها على عقول أهل الحقيقة من المتصوفة، والنيسابوري – رحمه الله – كان صوفياً كبيراً ، أفاض من روحه الصوفية الصافية على

(١) سورة الأنعام الآية (٢٥) .
(٢) البقرة من الآية (٨٨) .
(٣) غرائب القرآن للنيسابوري (١٢٢٦/٢، ١٢٢٧) .
(٤) سورة البقرة الآية (١٨٩) .
(٥) غرائب القرآن للنيسابوري (٤٦٠/١) .

تفسيره ، فنراه لذلك يستطرد أثناء التفسير إلى كثير من المواعظ المبكيات، والحكم الغاليات، كما نراه في تأويله الإشاري يمثل الفلسفة التصوفية بأعلى أنواعها.

- **ليس في تفسير النيسابوري ما يدل على تشيعه :**

وعلى كثرة ما قرأت في هذا التفسير لم أقع على نص منه يدل على تشيع مؤلفه، وكل ما وقعت عليه أنه قال في خاتمة تفسيره : " وإني أرجو فضل الله العظيم ، وأتوسل إليه بوجهه الكريم، ثم بنبيه القرشي الأبطحي ووليه المعظم العلى ... "[1] ، فالجملة الأخيرة : " ووليه المعظم العلى " وإن كانت اعترافاً منه بولاية علي-رضي الله عنه- ليست دليلاً قاطعاً على تشيعه ، بل نجد النيسابوري على العكس من ذلك يعترف في نفس خاتمة تفسيره[2] بأنه لم يميل في تفسيره إلا إلى مذهب أهل السنة والجماعة .

(١) غرائب القرآن للنيسابوري(٤/٣٤٦٨) .
(٢) راجع : التفسير والمفسرون (١/٣٠٤-٣١١) .

٥ -السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (للخطيب الشربيني)

- **التعريف بمؤلف هذا التفسير :**

هو محمد بن أحمد الشربيني شمس الدين، فقيه شافعي مفسر ، من أهل القاهرة، له تصانيف ، منها : " السراج المنير " في تفسير القرآن الكريم و " الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع " و " مغني المحتاج" ، أربعة أجزاء في " شرح منهاج الطالبين للنووي " و " تقريرات على المطول " في البلاغة ، " مناسك الحج "[١] .

- **التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :**

ذكر مؤلف هذا الكتاب في مقدمته : أن أئمة السلف ألفوا في التفسير كتباً، كل على قدر فهمه ومبلغ علمه، وأنه خَطَرَ لَهُ أن يقتفي أثرهم، ويسلك طريقهم، ولكنه تردد في ذلك مدة من الزمن؛ مخافة أن يدخل تحت الوعيد الوارد في حق من فسر القرآن برأيه أو بغير علم، ثم ذكر أنه استخار الله-ﷻ- في حضرته، بعد أن صلى ركعتين في روضته، وسأله أن يشرح صدره لذلك ويسره له ، فشرح الله له صدره، ولما رجع من سفره، كتم ذلك في سره، حتى قال له شخص من أصحابه: إنه رأى في المنام أن النبي-ﷺ- أو الشافعي يقول : قل لفلان يعمل تفسيراً على القرآن، وذكر المؤلف أنه لم يمض عليه إلا القليل ، وذكر أن جماعة من أصحابه ممن شغف بالعلم طلبوا منه بعد فراغه من شرح منهاج الطالبين أن يجعل لهم تفسيراً وسطياً بين الطويل الممل والقصير المخل فأجابهم إلى ذلك مقتدياً بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاء على الخلف، وذكر أنه ليس على ما فعلوه مزيد، ولكن لابد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد، وقَصَّر للطالبين فيه الجد والجهد، تنبيهاً من

(١) الأعلام للزركلي (٦/٦) .

تجديد ما طال به العهد، وقصر للطالبين فيه الجد والجهد ، تنبيهاً للمتوقفين، وتحريضاً للمتثبطين، وليكون ذلك عوناً له وللقاصرين أمثاله – كما يقول – .

- **موقفه من القراءات والأعاريب والحديث :-**

وقد وفى فيه صاحبه بما وعد فلم يذكر من القراءات إلا ما تواتر منها، ولم يقحم نفسه فيما لا يعني المفسر من ذكر الأعاريب التي لا تمت إلى التفسير بسبب، كما أنه وفى بما التزمه من أنه لا يذكر فيه إلا حديثاً صحيحاً أو حسناً؛ ولهذا نراه يتعقب الزمخشري والبيضاوي فيما ذكراه من الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن سورة سورة، كما ينبه على الأحاديث الضعيفة إن روى شيئاً منها في تفسيره .

فمثلاً : في آخر سورة الأعراف يقول ما نصه : " والحديث الذي ذكره البيضاوي تبعاً للزمخشري وهو : من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً، وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة ، حديث موضوع "[1].

- **اهتمامه بالنكت التفسيرية ومشكلات القرآن :**

ومما نلحظه في هذا التفسير أنه يورد بعض النكت التفسيرية، وبعض الإشكالات والإجابة عنها، تارة بقوله : تنبيه، وتارة بقوله : فإن قيل كذا أجيب بكذا .

- **عنايته بالمناسبات بين الآيات :**

كما نجده أنه شديد العناية بذكر المناسبات بين آيات القرآن ، عظيم الاهتمام بتقرير الأدلة وتوجيهها .

موقفه من المسائل الفقهية :

كما أننا نلحظ عليه أن يستطرد إلى ذكر الأحكام الفقهية، ومذاهب العلماء وأدلتهم، وإن كان مقلاً في هذه الناحية، فلا يتوسع ولا يكثر من

(١) السراج المنير للخطيب الشربيني (٥٥١/١) ، ط / دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

ذكر الفروع.

فمثلاً عند تفسيره لقوله-ﷻ-: ﴿ **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ (١) نراه يعرض لبعض أقوال العلماء في معنى اليمين اللغو، ثم بعد الفراغ من تفسير الآية يقول : " تنبيه " ثم يذكر ما ينعقد به اليمين، وما يترتب على الحنث في اليمين المنعقدة، وهل تجب الكفارة بالحنث في اليمين الغموس أو لا تجب ؟ فيذكر عن الشافعية أنهم يقولون بوجوبها، وعن بعض العلماء أنه لا كفارة فيها كالكبائر، ويعرض لحكم الحلف بغير الله كالكعبة والنبي والأب وغير ذلك .

- **خوضه في الإسرائيليات :**

هذا ولم يَخْلُ تفسير الخطيب من ذكر بعض القصص الإسرائيلي الغريب، وذلك بدون أن يتعقبه بالتصحيح أو التضعيف .

فمثلاً: عند تفسيره لقوله-ﷻ-: ﴿ **وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ..** ﴾(٢)

نراه يقول : **تنبيه** : أذكر فيه شيئاً من قصته -عليه السلام- " ... ثم يروي لنا قصة طويلة وعجيبة عن علماء السير والأخبار، وبعد الفراغ منها لا يتعقبها بتصحيح أو تضعيف(٣) .

- **كثرة نقوله عن تفسير الفخر الرازي :**

هذا ولا يفوتنا أن الخطيب الشربيني، كثيراً ما يعتمد على التفسير الكبير للفخر الرازي، والذي يقرأ في تفسيره هذا، يجد أنه يكثر من النقول عنه(٤).

(١) سورة البقرة الآية (٢٢٥) .
(٢) سورة الصافات الآية (١٢٣) .
(٣) السراج المنير (٣/٣٩٠) .
(٤) التفسير والمفسرون (١/٣٢٦) .

٦ -روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (للآلوسي)

- **التعريف بمؤلف هذا التفسير :**

هو شهاب الدين السيد محمود أفندي الآلوسي البغدادي ، ولد سنة ١٢١٧هـ في جانب الكرخ من بغداد ، وكان – رحمه الله – شيخ العلماء في العراق، وآية من آيات أمته العظام، جمع كثيراً من العلوم، حتى أصبح علامة في المنقول والمعقول، فهامة في الفروع والأصول، وكان عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل، وقد توفي – رحمه الله – يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ ، ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في الكرخ –رضي الله عنه–[١] .

- **التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه (منهجه فيه) :**

ذكر مؤلف هذا التفسير في مقدمته أنه منذ عهد الصغر ، لم يزل متطلباً لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم، مترقبا لارتشاف رحيقه المختوم، وأنه طالما فرق نومه لجمع شوارده، وفارق قومه لوصال خرائده، لا يرفل في مطارف اللهو كما يرفل أقرانه ، ولا يهب نفائس الأوقات لخسائس الشهوات كما يفعل إخوانه .... .

وقد ذكروا أن سلوكه في تفسيره هذا كان أمراً عظيما، وسراً من الأسرار غريباً ، فإن نهاره كان للإفتاء والتدريس، وأول ليلة لمنادمة مستفيد وجليس، فيكتب بأواخر الليل منه ورقات، فيعطيها صباحاً للكُتَّاب الذين وظفهم في داره فلا يكملونها تبييضاً إلا في نحو عشر ساعات .

(١) التفسير والمفسرون (١/٣٣٣، ٣٣٤) .

- **مكانة هذا التفسير من التفاسير التي تقدمته :**

ثم إن هذا التفسير – والحق يقال– قد أفرغ فيه مؤلفه وسعه، وبذل مجهوده حتى أخرج للناس كتاباً جامعاً لآراء السلف رواية ودراية، مشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي ... وهو إذا ينقل عن هذه التفاسير ينصب نفسه حكماً عدلاً بينها، ويجعل من نفسه نقاداً مدققاً ، ثم يبدي رأيه حراً فيما ينقل ، فتراه كثيراً ما يعترض على ما ينقله عن أبي السعود ، أو عن البيضاوي أو عن أبي حيان، أو عن غيرهم ، كما تراه يتعقب الفخر الرازي في كثير من المسائل، ويرد عليه على الخصوص في بعض المسائل الفقهية، انتصاراً منه لمذهب أبي حنيفة، ثم إنه إذا استصوب رأياً لبعض من ينقل عنهم، انتصر له ورجحه على ما عداه .

- **موقف الآلوسي من المخالفين لأهل السنة :**

والآلوسي سلفي المذهب سني العقيدة، ولهذا نراه كثيراً ما يفند آراء المعتزلة والشيعة، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه .

فمثلاً : عند تفسيره لقوله–ﷻ–: ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [١] يقول بعد كلام طويل ما نصه : " ... وإضافته – أي الطغيان – إليهم؛ لأنه فعلهم الصادر منهم بقدرهم المؤثرة بإذن الله –ﷻ– فالاختصاص المشعرة به الإضافة إنما هو الاعتبار ، لا باعتبار المحلية والاتصاف، فإنه معلوم لا حاجة فيه إلى الإضافة، ولا باعتبار الإيجاد استقلالاً من غير توقف على إذن الفعال لما يريد، فإنه

(١) سورة البقرة الآية (١٥) .

باعتبار عليه غبار، بل غبار ليس له اعتبار ، فلا تهولنك جعجعة الزمخشري وقعقعته "[1] .

- **الآلوسي والمسائل الكونية :**

ومما نلاحظه على الآلوسي في تفسيره، أنه يستطرد إلى الكلام في الأمور الكونية، ويذكر كلام أهل الهيئة وأهل الحكمة، ويقر منه ما يرتضيه، ويفند ما لا يرتضيه، **وإن أردت مثالاً جامعاً** ، فارجع إليه عند تفسيره لقوله –ﷻ–: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ*** ﴾ [2] .

- **كثرة استطراده للمسائل النحوية :**

كذلك يستطرد الآلوسي إلى الكلام في الصناعة النحوية، ويتوسع في ذلك أحياناً إلى حد يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسراً ، ولا أحيلك على نقطة بعينها، فإنه لا يكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك.

- **موقفه من المسائل الفقهية :**

كذلك نجده إذا تكلم عن آيات الأحكام فإنه لا يمر عليها إلا إذا استوفى مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم تعصب منه لمذهب بعينه .

فمثلاً : عند تفسيره لقوله –ﷻ–: ﴿ **وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [3]يقول ما نصه : " وقال الإمام مالك : المحسنون المتطوعون وبذلك استدل على

(١) روح المعاني للآلوسي (١/١٦٠) ، ط / دار الفكر العربي .
(٢) سورة يس الآيات (٣٨–٤٠) .
(٣) سورة البقرة الآية (٢٣٦) .

استحباب المتعة وجعله قرينة صارفة للأمر إلى الندب وعندنا"[١]: هي واجبة للمطلقات في الآية ، مستحبة لسائر المطلقات . وعند الشافعي -رضي الله عنه- في أحد قوليه : هي واجبة لكل زوجة مطلقة إذا كان الفراق من قبل الزوج إلا التي سمى لها وطلقت قبل الدخول "[٢] .

- **موقفه من الإسرائيليات :**

ومما نلاحظ على الآلوسي أنه شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المكذوبة التي حشا بها كثير من المفسرين تفاسيرهم وظنوها صحيحة مع سخرية منه أحياناً .

فمثلاً : عند تفسيره لقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ **وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ** ﴾[٤] نجده يروي أخباراً كثيرة في نوع الخشب الذي صنعت منه السفينة، وفي مقدار طولها وعرضها وارتفاعها، وفي المكان الذي صنعت فيه .. ثم يعقب على كل ذلك بقوله : " وسفينة الأخبار في تحقيق الحال فيما أرى لا تصلح للركوب فيها، إذ هي غير سالمة عن عيب، فالحري بحال من لا يميل إلى الفضول، أن يؤمن بأنه -عليه السلام- صنع الفلك حسبما قَصَّ الله -سبحانه وتعالى- في كتابه، ولا يخوض في مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ، ومن أي خشب صنعها ، وكم مدة أتم عملها إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ولم تبينه السنة الصحيحة " [٣].

---

(١) هذه اللفظة " وعندنا " تدل بوضوح على أن الآلوسي كان حنفي المذهب، وما أكثر مثل هذا التعبير في تفسيره مما يجعلنا لا نميل إلى ما نقلناه سابقاً من أنه كان شافعياً يقلد أبا حنيفة في كثير من المسائل .

(٢) روح المعاني للآلوسي (١٥٤/٢) .

(٣) سورة هود الآية (٣٨) .

(٤) روح المعاني للآلوسي (٥٠/١٢) .

- **تعرضه للقراءات والمناسبات وأسباب النزول :**

ثم إن الآلوسي يعرض لذكر القراءات ولكنه لا يتقيد بالمتواتر منها، كما أنه يعنى بإظهار وجه المناسبات بين السور كما يعنى بذكر المناسبات بين الآيات ويذكر أسباب النزول للآيات التي أنزلت على سبب، وهو كثير الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعاني اللغوية .

- **الآلوسي والتفسير الإشاري :**

ولم يفت الآلوسي أن يتكلم عن التفسير الإشاري بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات ، ومن هنا عد بعض العلماء تفسيره هذا في مَنْ كَتَب التفسير الإشاري، كما عد تفسير النيسابوري في ضمنها كذلك ، ولكني رأيت أن أجعلهما في عداد كتب التفسير بالرأي المحمود ؛ نظراً إلى أنه لم يكن مقصودهما الأهم هو التفسير الإشاري بل كان ذلك تبعاً – كما يبدو – لغيره من التفسير الظاهر وهذا كما قلت من قبل مسألة اعتبارية لا أكثر ولا أقل، وإنما أردت أن أبين جهتي الاعتبار .

وجملة القول ، فروح المعاني للعلامة الآلوسي ليس إلا موسوعة تفسيرية قيمة، جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه ، مع النقد الحُرّ والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة، وهو وإن كان يستطرد إلى نواح علمية مختلفة، مع توسع يكاد يخرجه عن مهمته كمفسر إلا أنه متزن في كل ما يتكلم فيه، مما يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه، وشمول الإحاطة بكل ما يتكلم فيه، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء ، إنه سميع مجيب[1] .

(١) التفسير والمفسرون (١/٣٣٣- ٣٤٢) .

٧ -الجامع لأحكام القرآن

(لأبي عبدالله القرطبي المالكي)

- **التعريف بمؤلف هذا التفسير :**

هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبدالله القرطبي، من كبار المفسرين من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب- شمالي أسيوط بمصر – وتوفى فيها سنة ٦٧١هـ ، من أهم مؤلفاته : " الجامع لأحكام القرآن" و "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة"(١) .

- **التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه (منهجه فيه) :**

وقد وصف العلماء هذا التفسير بأنه : " أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب، والناسخ والمنسوخ "(٢) .

وذكر المؤلف – رحمه الله – في مقدمة هذا التفسير السبب الذي حمله على تأليفه، والطريق الذي رسمه لنفسه ليسير عليه فيه، وشروطه التي اشترطها على نفسه في كتابه فقال : " وبعد .. فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض ، رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه مُنتي(٣)، بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتاً من التفسير، واللغات ، ..... **وشرطي في هذا الكتاب** : إضافة الأقوال إلى قائليها ،

(١) شذرات الذهب (٣٣٥/٥) ، طبقات المفسرين للسيوطي ص(٩٢) تحقيق / علي محمد عمر ، الناشر / مكتبة وهبة، الأعلام للزركلي (٣٢٢/٥) .

(٢) انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون (٣٠٩/٢) ط / دار التراث للطباعة والنشر ، تحقيق وتعليق / محمد الأحمدي أبو النور .

(٣) المُنَّة : بالضم : القوة .

والأحاديث إلى مصنفيها ... وسميته بالجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأحكام الفرقان"[١] .

والذي يقرأ في هذا التفسير يجد أن القرطبي – رحمه الله – قد وفى بما شرط على نفسه في هذا التفسير، فهو يعرض لذكر أسباب النزول والقراءات، والإعراب، ويبين الغريب من ألفاظ القرآن، ويحتكم كثيراً إلى اللغة، ويكثر من الاستشهاد بأشعار العرب، ويرد على المعتزلة والقدرية، والروافض، والفلاسفة وغلاة التصوف... .

- **إنصاف القرطبي وعدم تعصبه :**

وخير ما في الرجل أنه لا يتعصب لمذهبه المالكي، بل يمشي مع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنه الصواب أياً كان قائله .

فمثلاً : نجده عندما تعرض لقوله–ﷻ– : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** .. الآية ﴾[٢] ، نجده في المسألة الثانية عشرة من مسائل هذه الآية يذكر خلاف العلماء في حكم من أكل في نهار رمضان ناسياً ، فيذكر عن مالك أنه يفطر وعليه القضاء، ولكنه لا يرضى ذلك الحكم فيقول : قلت : " وهو الصحيح، وبه قال الجمهور إن من أكل أو شرب ناسياً فلا قضاء عليه، وإن صومه تام [٣].

- **موقفه من حملات ابن العربي على مخالفيه :**

كذلك نجد القرطبي – رحمه الله – كثيراً ما يدفعه الإنصاف إلى أن يقف موقف الدفاع عمن يهاجمهم ابن العربي من المخالفين، مع توجيه اللوم إليه أحياناً ، على ما يصدر منه من عبارات قاسية في حق علماء المسلمين الذاهبين إلى ما لم يذهب إليه .

---

(١) تفسير القرطبي (٢/١، ٣) (المقدمة) ط / مكتبة الغزالي ، دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م .

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٧) .

(٣) تفسير القرطبي (٣٢٢/٢) .

فمثلاً : عندما تعرض لقوله -ﷻ-: ﴿ **وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً...** الآية ﴾ [١] نراه يعيب على ابن العربي تشنيعه على من يقول من الحنفية وغيرهم بحل النبيذ، وجعله إياهم مثل أغبياء الكفار فيقول: "وهذا تشنيع شنيع، حتى يلحق فيه العلماء الأخيار في قصور الفهم بالكفار"[٢].

وعلى الجملة فإن القرطبي -رحمه الله- في تفسيره هذا حُرّ في بحثه نزيه في نقده، عف في مناقشته وجدله، ملم بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كل فن استطرد إليه وتكلم فيه[٣] .

(١) سورة النحل الآية (٦٧) .
(٢) تفسير القرطبي (١٣٠/١٠) .
(٣) التفسير والمفسرون (٤٣٨/٢-٤٤٤) .

٨ -أحكام القرآن لابن العربي (المالكي)

- **التعريف بمؤلف هذا التفسير :**

هو القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد المعافري، الأندلسي الإشبيلي، الإمام العلامة المتبحر، ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها، كان أبوه من فقهاء إشبيلية ورؤسائها.

ولد أبو بكر سنة ٤٦٨هـ وتأدب ببلده، وقرأ القراءات، ثم رحل إلى مصر، والشام وبغداد، ومكة، وكان يأخذ عن علماء كل بلد يرحل إليه حتى أتقن الفقه، والأصول وقيد الحديث ، واتسع في الرواية ، وأتقن مسائل الخلاف والكلام، وتبحر في التفسير، وبرع في الأدب والشعر، وأخيراً عاد إلى بلده إشبيلية بعلم كثير، لم يأت به أحد قبله، ممن كانت له رحلة إلى المشرق، وقد **ألف تصانيف كثيرة منها :** " **أحكام القرآن**" وهو ما نحن بصدده الآن، وقد كانت وفاته سنة ٥٤٣هـ ودفن بمدينة فاس[١] .

- **التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه (منهجه فيه) :**

يتعرض هذا الكتاب لسور القرآن كلها، ولكنه لا يتعرض إلا لما فيها من آيات الأحكام فقط، وطريقته في ذلك أن يذكر السورة، ثم يذكر عدد ما فيها من آيات الأحكام، ثم يأخذ في شرحها آية آية ... قائلاً : الآية الأولى وفيها خمس مسائل – مثلاً – ، والآية الثانية وفيها سبع مسائل – مثلاً – وهكذا حتى يفرغ .

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (٢/٢٥٢، ٢٥٦)، طبقات المفسرين (٢/١٦٧-١٧٠) .

- **تفسير ابن العربي بين انصافه واعتسافه :**

هذا .. وإن الكتاب يعتبر مرجعاً مهما للتفسير الفقهي عند المالكية وذلك لأن مؤلفه مالكي تأثر بمذهبه، فظهرت عليه في تفسيره روح التعصب له والدفاع عنه، غير أنه لم يشتط في تعصبه إلى الدرجة التي يتغاضى فيها عن كل زلة علمية تصدر من مجتهد مالكي، ولم يبلغ به التعسف إلى الحد الذي يجعله يفند كلام مخالفه إذا كان وجيهاً ومقبولاً ، **والذي يتصفح هذا التفسير يلمس منه روح الإنصاف لمخالفيه أحياناً :**

فمثلاً : انظر إليه عندما تعرض لقوله -ﷻ- : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُم..** الآية ﴾[١] حيث يقول : "المسألة السادسة عشرة : قوله -ﷻ- : " **وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** .." **الاعتكاف في اللغة** : هو اللبث، وهو غير مقدر عند الشافعي، وأقله لحظة، ولا حد لأكثره، **وقال مالك وأبو حنيفة** : هو مقدر بيوم وليلة؛ لأن الصوم عندهما من شرطه، قال علماؤنا : لأن الله -ﷻ- خاطب الصائمين، وهذا لايلزم في الوجهين : أما اشتراط الصوم فيه بخطابه -ﷻ- لمن صام فلا يلزم بظاهره ولا باطنه، لأنها حال واقعة لا مشترطة، وأما تقديره بيوم وليلة لأن الصوم من شرطه فضعيف، فإن العبادة لا تكون مقدرة بشرطها، ألا ترى أن الطهارة شرط في الصلاة وتنقضي الصلاة وتبقى الطهارة"[٢].

فأنت ترى أن المؤلف – رحمه الله – لم يرقه هذا الاستدلال الذي أظهر بطلانه ، وهذا دليل على أنه يستعمل عقله الحر أحياناً، فلا يسكت على الزلة العلمية فيما يعتقد ، وإن كان فيها ترويج لمذهبه.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٧).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٩٥/١) ، ط/ دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، تحقيق / علي محمد البجاوي .

كما يلمس منه روح التعصب المذهبي التي تستولى على صاحبها فتجعله أحياناً كثيرة يرمي مخالفه وإن كان إماماً له قيمته ومركزه بالكلمات المقذعة اللاذعة :

فمثلاً : عندما تعرض لقوله -ﷻ- : ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ [1] حيث يقول: " المسألة السابعة : إذا كان الرد فرضاً بلا خلاف ، فقد استدل علماؤنا على أن هذه الآية دليل على وجوب الثواب في الهبة للعين، وكما يلزمه أن يرد مثل التحية يلزمه أن يرد مثل الهبة، وقال الشافعي: ليس في هبة الأجنبي ثواب ... وهذا فاسد؛ لأن المرء ما أعطى إلا ليعطى، وهذا هو الأصل فيها، وإنا لا نعمل عملاً لمولانا إلا ليعطينا فكيف بعضنا البعض " [2] .

- **حملته على مخالفي مذهبه :**

وإن أردت أن تقف على مبلغ قسوته على أئمة المذاهب الأخرى وأتباعهم، فانظر إليه عندما تعرض لقوله-ﷻ- : ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً** ﴾ [3]، حيث يقول : " المسألة الرابعة عشرة : هذا يدل على أن الخلع طلاق، خلافاً لقول الشافعي في القديم : إنه فسخ ، وفائدة الخلاف : أنه إن كان فسخاً لم يعد طلقة . قال الشافعي : لأن الله -ﷻ- ذكر الطلاق مرتين وذكر الخلع بعده، وذكر الثالث بقوله -ﷻ- : ﴿ **فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ** ﴾ وهذا غير صحيح؛ لأنه لو كان كل مذكور

(١) سورة النساء الآية (٨٦) .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٤٦٧/١، ٤٦٨) .
(٣) سورة البقرة الآية (٢٢٩) .

في معرض هذه الآيات لا يعد طلاقاً لوقوع الزيادة على الثلاث لما كان قوله-ﷻ- : " **أو تسريح بإحسان**" طلاقاً؛ لأنه يزيد به على الثلاث، ولا يفهم هذا إلا غبي أو متغاب... "[١] .

وبعد كل ما سبق لا أدعي بأنني أتيت بما لم تأت به الأوائل ولكني أستطيع القول بأنني جمعت أهم ما كتبه السابقون ، وحللت وقارنت بين أقوالهم واستطعت الوصول إلى نتائج ومعلومات أرجو أن تكون نافعة لطلاب المدرسة التفسيرية . والله من وراء القصد .

وبعد ، فهذا هو جهدي المتواضع الذي أرجو من الله -ﷻ- أن ينال محل الرضا والقبول ، فإن كنت قد أصبت فمن الله ، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان ، وحسبي أني بشر أخطئ وأصيب ، وكل عمل البشر عرضة للصواب والخطأ ، والله أسأل أن يجنبني الخطأ ويسدد على الحق خطانا ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾[٢].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور
مصطفى أحمد محمد أحمد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/١٩٥) .
(٢) سورة آل عمران آية (٨) .

فهرس المراجـــع

فهرس المراجع

*****

***الإتقان في علوم القرآن.**

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ت ٩١١هـ. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط مكتبة دار التراث .

***الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .**

لخير الدين الزركلي ، طبعة دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان .

***أحكام القرآن .**

لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، ت٥٤٣هـ ، ط دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، تحقيق/ علي محمد البجاوي .

*** البحر المحيط .**

للعلامة أبي حيان الأندلسي الغرناطي محمد بن يوسف ت٧٥٤هـ ط دار الفكر .

*** البرهان في علوم القرآن .**

للإمام بدر الدين الزركشي ت٧٩٤هـ تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط مكتبة دار التراث .

*** الجامع لأحكام القرآن .**

للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ت٦٧١هـ ، حققه أحمد عبدالعليم البردوني، ط مكتبة الغزالي ، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .

***تحفة الأشراف .**

للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي ت ٧٤٢هـ ، تعليق : عبد الصمد شرف الدين . نشر الدار القيمة الهند ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

*** التفسير والمفسرون .**

للدكتور محمد حسين الذهبي . نشر مكتبة وهبة الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

*** حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .**

للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ت ٤٣٠هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

*** دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين .**

لفضيلة الدكتور حسن يونس حسن عبيدو.ط مركز الكتاب للنشر .

*** الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب .**

لابن فرحون ، تحقيق وتعليق / محمد الأحمدي أبو النور ، ط / دار التراث للطباعة والنشر.

*** ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث .**

للإمام الشيخ عبد الغني النابلسي ١١٤٣هـ . ط دار الحديث القاهرة .

*** روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .**

للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ت١٢٧٠هـ ، ط/ دار الفكر العربي ، بيروت ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

* **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير .**

للإمام الخطيب الشربيني ، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان .

* **سنن أبي داود .**

للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ . حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف الشيخ خليل مأمون شيحا . ط دار المعرفة بيروت لبنان . الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

* **شذرات الذهب في أخبار من ذهب .**

للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي ت١٠٨٩هـ ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط / دار إحياء التراث العربي ، بيروت بدون تاريخ .

* **طبقات الشافعية .**

لابن قاضي شهبة ، ط/ عالم الكتب .

* **طبقات المفسرين .**

للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت٩١١هـ ، تحقيق علي محمد عمر ، الناشر مكتبة وهبة .

* **طبقات المفسرين .**

للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ت٩٤٥هـ ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .

* **غرائب القرآن ورغائب الفرقان (على مصحف التهجد) .**

للإمام نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ت٧٣٨هـ ، ط / دار الصفوة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م طبعة أولى .

* **الفرق بين الفرق .**

للإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . طبعة دار التراث . بدون تاريخ .

* **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس .**

لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ، ت ١١٦٢هـ . ط : مكتبة الغزالي دمشق . مؤسسة مناهل العرفان بيروت ، لبنان .

* **لباب التأويل في معاني التنزيل .**

لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ت ٧٤١هـ، ط / مصطفى البابي الحلبي، الثانية ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م

* **لسان العرب .**

لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١هـ ، تولى تحقيق لسان العرب نخبة من العاملين بدار المعارف وهم الأساتذة عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، ط دار المعارف .

* **مباحث في علوم القرآن .**

لمناع خليل القطان ، ط / مؤسسة الرسالة ، الثالثة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

* **مختار الصحاح .**

لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ت ٦٦٦هـ ، طبعة دار المتنبي للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ودار مكتبة الثقافة الجديدة . أبو ظبي ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

* **مدخل إلى مناهج المفسرين .**

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد السيد جبريل أستاذ التفسير وعلوم القرآن . جامعة الأزهر . ط دار الحرية للطباعة .

* **مفتاح كنوز السنة .**

للدكتور أ. ي . فنسنك ، نقله إلى العربية الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، مراجعة الشيخ خليل الميسي . ط دار القلم و ط دار الحديث القاهرة . الثالثة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

* **مقدمة في أصول التفسير .**

لشيخ الإسلام ابن تيمية مع عرض موجز لاتجاهات أشهر التفاسير لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد . ط دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع .

* **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .**

لجماعة من المستشرقين ، والشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة برلين في ليدن ١٩٦٥م .

* **المعجم الوجيز .**

أعده مجمع اللغة العربية . طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

* **المعجم الوسيط .**

أعده مجمع اللغة العربية . الناشر مكتبة الصحوة .

* **الملل والنحل .**

للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، ت ٥٤٨هـ تحقيق : محمد فريد . طبعة المكتبة التوفيقية . بدون تاريخ .

* **موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف .**

إعداد أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول . ط دار الفكر .

* **مناهل العرفان في علوم القرآن .**

للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني . ط دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي .

* **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .**

للإمام شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق د / إحسان عباس ، ط / دار صادر ، بيروت .